أعزّائي أعضاء أسرتنا التّربويّة الكرام،

يحلـو لي في إطلالــة عيـد القدّيس أنطونيـوس الكبير، شـفيع رهبانيّتنــا الأنطونيّــة، الموافـق يوم الأحـد ١٧ كانون الثّاني ٢٠٢١، أن أحدّثكم عن فتًى وسيم، في الثّامنة عشرة من عمره، قام بمغامرة خارقة أسرت حياته كلّها بأسرٍ ارتضاه لنفسه بشغف، فتمّت من جرّائها الأعجوبة السّماويّة العظمى، واندفقت أنوارها على حنايا تاريخ المسيحيّة منذ أكثر من ألف وسبعمئة سنة. أمّا نعمتها الكبرى فكانت كوكبةً مباركةً أثمرت، ولا تزالُ، ثمار الرّوح في قلب كنيسة المسيح الجامعة المقدّسة الرّسوليّة، نسّاكًا وزهّادًا وراهباتٍ ورهبانًا، منذ سنة ٣٥٦ (تاريخ وفاة هذا القدّيس) إلى يومنا هذا.

إنّه الشّابُّ الغنيّ أنطونيوس الّذي أُعطيَ له أن يُلقَّب بأنطونيوس الكبير، وأنطونيوس النّاسك، وأنطونيوس كوكب البرّيّة، وأنطونيوس أبي الرّهبان، كملهم للحياة الرّهبانيّة في الشّرق كما في الغرب. "فمنذ قديم الزّمان، كانت الحياة الرّهبانيّة روح الكنائس الشّرقيّة... وكان الدّير هو المكان النّبويّ الّذي فيه تصبح الخليقة تمجيدًا لله، ووصيّة المحبّة المعاشة عمليًّا مثالاً أعلى للتّعايش الإنسانيّ." (نور الشّرق عدد٩)

ولأنّه رأى مجد الرّبّ بعَينَيْ قلبه، وسَمِعَ إنجيله بأذنَيْ وجدانه، ولأنّه فهم فهمًا روحيًّا أنّ الخلاص يكمن بعيش جَذريّة إنجيل التّطويبات، ولأنّه انجذب انجذابًا كيانيًّا إلى شخص المسيح يسوع، وآثر حبّه على حبّ العالَم، ترك غناه ومباهج الدّنيا من حوله، وسلك سبيل الزّهد والتّنسّك في صحراء الصّعيد في مصر، متيقّنًا أنّ الرّوح يعمل بلا هوادة في هذا العالَم، وأنّه هو الّذي يناديه ويدعوه إلى أن يبحث عن "الضّروريّ الأوحد"، عن وجه الله، ليلتمسه في عمق الخلوة والسّكينة والزّهد الكلّيّ، فيكون معه من دون منازع. ألسنا نردّد نحن بدورنا، صبحًا ومساءً، صلاة المزمور ٢٧ مرنّمين:

"بكَ نطق قلبي. إيّاك التمس وجهي. وجهُكَ يا ربّ ألتمس."

فكم نحن في حاجة اليوم، أيّها الأحبّاء، إلى أن يشرق الرّبّ بوجهه علينا. فلا يحجب أنواره الإلهيّة عن أرضنا الغارقة في لُجَجِ القهر والخوف والقلق من جرّاء المآسي الّتي تنهش جسم الوطن، وتعصف بشعبنا، وتهدّد مستقبل شبابنا، وتلوي طراوة أطفالنا، وتقسو على المرضى والمسنّين والمشرَّدين والمهَمَّشين.

كم نحن في حاجة اليوم، أيّها الأحبّاء، إلى أن نستخلص دروسًا ناجعة لننقذ ما تبقّى في لبناننا الجريح من حياة كريمة آمنة، فلا نستسلم لغريزة التّسلّط والعنف والاستغلال المميت، ولا ننقاد خلف الاستهتار المدمِّر!

كم نحن في حاجة اليوم، أيّها الأحبّاء، إلى أن نغيّر أنماط حياتنا ومظاهر سلوكيّاتنا، اجتماعيًّا وأخلاقيًّا وتربويًّا ووطنيًّا، فلا ننبهر بالأضواء العابرة، ولا نتعلّق بالتّرف الفارغ، ولا نتمازج بثقافات غربيّةٍ غريبةٍ لا تُشبهُنا؛ بل يقتضي علينا أن نتعلّق بعاداتنا وتقاليدنا المهورة بطابع الأخلاق والقيَم وحبّ الأرض، "لأنّ الأرض هي المكوّنة للهويّة التّاريخيّة والاجتماعيّة والوطنيّة"، بحسب المجمع البطريركيّ الماروني.

كم نحن في حاجة اليوم، أيّها الأحبّاء، إلى أن نقوم كلّنا بأفعال توبة صادقة، وأفعال مصالحة حقيقيّة، مؤثرين حبّ الوطن والعمل على تعزيز نهوضه ونهضته، لا العمل على الاستئثار بثروته وتقاسم كنوزه والتّلذُّذ بثمار أتعاب المقهورين من أهله.

كم نحن في حاجة اليوم، أيّها الأحبّاء، إلى أن نسعى معًا إلى إرساء نظام جديد في بلادنا، يؤسّس لعدالة حقّة ومساواة أكيدة بين المواطنين على قاعدة كرامة الإنسان وصَون حقوقه المشروعة والأساسيّة، وعلى مبدأ الوحدة في التّنوّع والاحترام المتبادل بين فئات المجتمع.

ويطول تعداد هذه اللّائحة الّتي تهيب بنا، في مناسبة احتفالنا بذكرى عيد شفيعنا القدّيس أنطونيوس الكبير، لأن نتوسّل إليه ليتعهّد، مع قدّيسي لبنان وقدّيساته، مشروع شفاء وطن الأرز بإعادة روحه إليه... إنّهم وحدَهم قادرون على اجتراح أعجوبة إنقاذه من الجحيم الّذي يتخبّط فيه، في هذه الآونة من تاريخ شجونه.

وعلى الرّغم من ذلك كلّه، تبقى أنظارُنا متّجهةً نحو "الكوكب الّذي أشرق علينا من العلاء" (لو١/٧٨)، لِيَنفحَنا بنفحةِ رجائه فنستطيع أن نهتف مع أشعيا النّبي: "أليس عمّا قليل يتحوّل لبنان جنّة والجنّة تحسب غابة؟ وفي ذلك اليوم يسمع الصُّمُّ أقوالَ الكتاب ويبصر العميان بعد الدّيجور والظّلام ويزدادُ البائسون سرورًا بالرّبّ..." (أش ٢٩: ١٧-١٩)

ختامًا، أيّها الأحبّاء، أودّ أن أرفع وإيّاكم الدّعاء للرّبّ، بشفاعة القدّيس أنطونيوس، قائلين:

أعطنا، يا ربّ، حكّامًا وقادة صالحين، يسعون إلى إحلال العدالة والسّلام والأخوّة والوحدة في بلادنا.

أعطنا، يا ربّ، شعبًا مؤمنًا بدعوته ورسالته المتميّزة في هذا الشّرق، فيَسلكَ سلوكًا يليق بدعوته السّامية.

أعطنا، يا ربّ، راهبات ورهبانًا وكهنة قدّيسين ليواصلوا رسالة التّسبيح والحبّ والخدمة في كنيسة الرّجاء.

أعطنا، يا ربّ، أن نتتلمذ كلّنا في مدرسة أنطونيوس، هو الّذي تميّز بالمثابرة على الصّلاة من "شروق الشّمس إلى شروق الشّمس"، وبالتّأمّل بكلام الله في إنجيل الحياة طيلة نهاره، وبالثّبات على الجهاد حتّى النّفَس الأخير، منتصرًا على مكايد إبليس وتجارب العالم.

عيدًا مباركًا لنا جميعًا. هلّلويا!

غزير، في ١٤ كانون الثّاني ٢٠٢١

الأخت جوديت هارون
رئيسة الثّانويّة